

## التحرير والتنوير

وقرأ الجمهور ( يسيركم ) بتحتية في أوله مضمومة فسين مهملة بعدها تحتية بعدها راء من السير أي يجعلكم تسيرون . وقرأه ابن عامر وأبو جعفر ( ينشركم ) بتحتية مفتوحة في أوله بعدها نون ثم شين معجمة ثم راء من النشر وهو التفريق على نحو قوله تعالى ( إذا أنتم بشر تنتشرون ) وقوله ( فانتشروا في الأرض ) . قال ابن عطية عن عوف بن أبي جميلة وأبي الزغل : كانوا " أي أهل الكوفة " يقرأون " ينشركم " فنظروا في مصحف عثمان بن عفان فوجدوها ( يسيركم ) " أي بتحتية فسين مهملة فتحتية " فأول من كتبها كذلك الحجاج بن يوسف أي أمر بكتبتها في مصاحف أهل الكوفة .

و ( حتى ) غاية للتسير . وهي هنا ابتدائية أعقبت بحرف المفاجأة وجوابه والجملة والغاية هي مفاد جواب ( إذا ) وهو قوله ( جاءتها ريح عاصف ) فمجيء الريح العاصف هو غاية التسير الهنيئ المنعم به إذ حينئذ ينقلب التسير كارثة ومصيبة . والفلك : اسم لمركب البحر واسم جمع له بصيغة واحدة وقد تقدم عند قوله تعالى ( والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ) في سورة البقرة . وهو هنا مراد به الجمع . والظاهر ( مجراها ) باسم ( تعالى قال البحر في أو الأرض في السريع السير : والجري A E أنه حقيقة فيهما .

والريح مؤنثة في كلام العرب وتقدم في قوله ( وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته ) في سورة الأعراف . والطيبة : الملائمة الرفيقة بالراكبين . والطيب : الموصوف بالطيب الشديد . وأصل معنى الطيب الملاءمة فيما يراد من الشيء كقوله تعالى ( فلنحيينه حياة طيبة ) ويقال : طاب له المقام في مكان كذا . ومنه سمي الشيء الذي له ريح وعرف طيبا .

وجملة ( جاءتها ريح عاصف ) جواب ( إذا ) . وفي ذكر جريهن بريح طيبة وفرحهم بها إيماء إلى أن مجيء العاصفة حدث فجأة دون توقع من دلالة علامات النوتية كما هو الغالب . وفيه إيماء إلى أن ذلك بتقدير مراد الله تعالى ليخوفهم ويذكرهم بوحدانيته . وضمير ( جاءتها ) عائد إلى ( الفلك ) لأن جمع غير العاقل يعامل معاملة المفرد المؤنث . والعاصف : وصف خاص بالريح أي شديدة السرعة . وإنما لم تلحقه علامة التأنيث لأنه مختص بوصف الريح فاستغنى عن التأنيث مثل : نافس وحائض ومرضع فشاع استعماله كذلك وذكر وصفا للريح فبقي لا تلحقه التاء . وقالوا : إنما لم تلحقه التاء لأنه في معنى النسب مثل : لابن وتامر وفيه نظر .

ومعنى ( من كل مكان ) من كل جهة من جهات الفلك فالابتداء الذي تفيده ( من ) ابتداء  
الأمكنة المتجهة إلى الفلك .

ومعنى ( أحيط بهم ) أخذوا وأهلكوا فالعرب يقولون : أحاط العدو بالقبيلة إذا تمكن منها  
وغلبها لأن الإحاطة بها تدل على الإحداق بها وتطويقها . ولما كان ذلك هزيمة وامتلاكاً لها  
صار ترتيب ( أحيط بهم ) استعارة تمثيلية للهلاك كما تقدم في قوله تعالى ( وأحيط بهم )  
بالكافرين ( وقوله تعالى ( لتأتني به إلا أن يحاط بكم ) وقوله ( وأحيط بثمره ) أي هلك  
. فمعنى ( وظنوا أنهم أحيط بهم ) ظنوا الهلاك .

وجملة ( دعوا ) مخلصين ( جواب ( إذا ) . ومعنى مخلصين له الدين محضين له العبادة في  
دعائهم أي دعوه ولم يدعوا معه أصنامهم . وليس المراد أنهم أقلعوا عن الإشراك في جميع  
أحوالهم بل تلك حالتهم في الدعاء عند الشدائد . وهذا إقامة حجة عليهم ببعض أحوالهم مثل  
قوله تعالى ( أغيرا ) تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون ) .

وجملة ( لئن أنجيتنا ) بيان لجملة ( دعوا ) لأن مضمونها هو الدعاء .  
والإشارة ب ( هذه ) إلى حالة حاضرة لهم وهي حالة إشرافهم على الغرق فالمشار إليه هو  
الحالة المشاهدة لهم .

وقد أكد وعدهم بالشكر بثلاث مؤكدات : لام توطئة القسم ونون التوكيد والتعبير بصيغة ( من  
الشاكرين ) دون لنكونن شاكرين لما يفيده من كونهم من هذه الزمرة التي ديدنها الشكر كما  
تقدم بيان خصوصية مثل هذا التركيب عند قوله تعالى ( قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين )  
في سورة الأنعام .

وأتى بحرف ( إذا ) الفجائية في جواب ( لما ) للدلالة على تعجيلهم بالبغي في الأرض عقب  
النجاة